معادن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية
٤٩٠ـ ٦٩٠ هـ/ ١٠٩٧ – ١٢٩٠م

م.د. سعد رمضان محمد الجبوري
قسم التاريخ
كلية التربية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/١٠/٣٠ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٣/١/٢٣

ملخص البحث:

يتناول البحث أهمية معادن بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (٤٩٠ – ٦٩٠هـ / ١٠٩٧ – ١٢٩٠م) والتي كانت تشتمل على نوعين من المعادن هما المعادن التقليدية والمعادن الثمينة وقد تناولنا في البداية التوزيع الجغرافي لهذه المعادن وأماكن انتشارها فضلاً عن ذلك فقد عرجنا على أهم الصناعات الشامية والتي كانت المعادن أساساً فيها سواء أكان ذلك في المجالات المدنية أم الحربية وما كان لهذه الصناعات أن تتطور لولا الجهود المبذولة من قبل الملوك والسلاطين الايوبيين والمماليك فضلاً عن ذلك المهارات الكبيرة التي امتلكها الصناع الشاميون خاصة والشرقيون عامة كما تناول البحث التجارة الرائجة للمعادن في هذه الحقبة ما بين الغرب الاوربي وبلاد الشام.

Minerals of Bilad al-sham During the Crusades
490 – 690 *A.H* /1097 – 1290 *A.D*

Lect. Dr. Saad Ramadhan Mohammaed AL- Joboori
Department of History
College of Education / Mosul University

Abstract:

It is quite obvious that the period of crusades had negative effects on the minerals in Bilad Al-Sham. However, this does not mean that these minerals were considerably neglected or not employed in the economic fields; but some people would rather view it as a historic economic event between the Islamic East and the European West, especially when we know that these countries have different kinds of minerals–conventional or precious. The former included iron, copper and lead, while the latter included gold and silver. The minerals were used in various industrial, civil and military fields. The Shami craftsmen

were creative in the production of various artifacts which became well known in different parts of the world known at that time and influenced the European West considerably. Museums around the world still have some of these priceless artifacts. Minerals trade also witnessed a remarkable circulation between the European West and Islamic East. This undoubtedly was due to the huge demand on different kinds of minerals to meet both the needs of war against the crusaders and the local industries. The Ayoobi princes and sultans as well as the Mamlukes exerted great efforts that contributed to the development of mineral-based industries through encouraging many craftsmen, particularly those from Mosul city known by the art of Takfeet , to emigrate to Bilad Al-Sham.

المقدمة:

لا يخفى على أحد أن حقبة الحروب الصليبية كانت قد تركت آثاراً سلبية على واقع المعادن في بلاد الشام لكن هذا لا يعني أن هذه المعادن أهملت بشكل كبير ولم تكن تستثمر في أي من النشاطات الاقتصادية سواء أكانت الصناعية أم التجارية منها، بل ثمة من يرى أن هذه الحقبة كانت حدثاً اقتصادياً مهماً بين الشرق الإسلامي والغرب الأوربي ولاسيما إذا جردت من صبغتها الدينية، لأن بعضهم قد يتوهم باعتقاده أن هذه الحروب كانت تهدف إلى خدمة الصليبيين، لكنها كانت على العكس من ذلك تماماً فهي كانت سعياً وراء تحقيق مكاسب أقتصادية في بلاد المسلمين ولا سيما بلاد الشام المعروفة بامتلاكها الكثير من الثروات، ومن اجل أن نوضح أهمية هذه المعادن في الحقبة المذكورة أعلاه فقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع عنواناً للدراسة هذه، و التي ستبدأ بالتعريف بأهم المعادن وتوزيعها الجغرافي وقد أرتأينا تقسيم هذه المعادن إلى قسمين هما المعادن التقليدية والمعادن الثمينة وقد اشتملت المعادن الاعتيادية على الحديد والنحاس والرصاص في حين أشتملت المعادن الثمينة على الذهب والفضة، فضلاً عن ذلك فأن البحث سيتناول بالتفصيل أهم الصناعات والحرف التي عرفتها بلاد الشام إبان الحروب الصليبية وجهود السلاطين الأيوبيين في دعمها وتشجيعها، والشيء الملفت للنظر أن الصناعات الشامية كانت قد اكتسبت شهرة واسعة في أرجاء العالم أنذاك بسبب كونها كانت في غاية الدقة والروعة وهي مزخرفة بأشكال وصور أدمية وحيوانية، وعالج البحث استخدامات المعادن في مختلف المجالات المدنية منها والحربية، فضلاً عن تجارة المعادن التي كانت بين أوربا وبلاد الشام سواء المعادن الخام أم المواد المعدنية المصنعة. ويتضمن البحث خاتمة جاءت بأهم النتائج التي توصل أليها الباحث، وقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر الأولية والمراجع الثانوية ذات الصلة المباشرة بالموضوع.

أولاً: أنواع المعادن وتوزيعها الجغرافي.

قبل الدخول في تفاصيل الموضوع لابد من أعطاء تعريف واضح ودقيق لمعنى المعدن والمعدنيات، فعلى الرغم من كثرة الآراء حول هذا المفهوم الا أنها جميعاً تكاد تتفق على رأي موحد والذي يقول بأن المعدن هي المادة المستخرجة من المناجم [١] وعدن بالمكان إذا أقام به فلان وذلك لازم للموضع الذي يستخرج أبداً منه[٢]. ووصفت المعدنيات بأنها ((أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت لأرض، أذا اختلطت على ضروب من الأختلاطات مختلفة في الكمّ والكيف)) [٣]. كما وصفت المعادن بأنها ((أول متولد تميزت جوهريته عن التراب)) [٤].

أما عن أنواع المعادن وتوزيعها الجغرافي في بلاد الشام فقد عرفت العديد من أنواع المعادن والتي أرتأينا أن نصنفها ونقسمها الى قسمين الأول ما يمكن أن نطلق عليه بـــ(المعادن التقليدية) والتي اشتملت على الحديد والنحاس والرصاص وهي الأكثر شيوعاً في بلاد الشام أذ ما قورنت بالقسم الثاني الذي أطلق عليه بـــ (المعادن الثمينة) التي اشتملت على الذهب والفضة.

وعلى الرغم من أننا ندرك ان هذا التقسيم الذي ذهبنا أليه يختلف نوعاً ما عن تصنيف الكثير من المؤرخين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر القزويني[٥].الذي ذكرها بقوله ووصفها بالأجسام السبعة ((أعني الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والخارصين)) [٦]. لهذا يتضح من خلال النص أن هذه المعادن حينما ذكرت لم يميز الثمين من

---

(١) التيفاشي، أحمد بن يوسف: أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، تحقيق محمد يوسف حسن ومحمد بسيوني، مطبوعات مركز تحقيق التراث، الهيئة العامة المصرية للكتاب (القاهرة: ١٩٧٧)، ٤١ – ٤٢؛ أبو سديرة، السيد طه: الحرف والصناعات في عصر الإسلامية منذ الفتح العربي وحتى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب: (القاهرة: ١٩٩١) ١٣٩.

(٢) قدامة، بن جعفر:الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسن الزبيدي، دار الرشيد (بغداد: ١٩٨١) ٢٠٥. الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، مطبعة الشرق،(القاهرة: ١٣٤٢ه) ١٤٧ – ١٥٠؛ عبيد، طه خضر: دراسات في التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي (الموصل: ٢٠٠٨) ٨٤.

(٣) القزويني، زكريا بن محمود: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٢، الهيئة العامة المصرية (القاهرة: ٢٠٠٨) ١٨١.

(٤) شيخ الربوه، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار أحياء التراث العربي (بيروت: ١٩٨٨) ٦٧.

(٥) عجائب المخلوقات، ١٨٠ – ١٨٢.

(٦) القزويني، عجائب المخلوقات، ١٨٠ – ١٨٢.

التقليدي منها، لذا أستوجب توضيحه في البحث، وسنتناول معادن بلاد الشام وتوزيعها الجغرافي واهم استخداماتها الحضارية في مختلف المجالات سواء المدنية منها أم الحربية والتي تشتمل:

ثانياً: المعادن التقليدية وتشمل:

١ـ الحديد:

من أهم المعادن الفلزية بل وصف بأنه سيدها[١]. وأشدها صلابة وقوة وأصبرها على النار وأسرعها تتريباً في التراب وهو مختلف القوة بأختلاف أنواع معادنه[٢]. ويبدو أن مركبات الحديد التي انتشرت في بلاد الشام كانت تمتاز بالعديد من الخصائص والمميزات والتي ربما لا تتوافر في غيرها من المركبات منها سهولة طرقها وتصفيحها فضلاً عن قربها من سطح الأرض وارتفاع مادتها[٣]. ولهذا فقد انتشرت خامات الحديد في العديد عن مناطق بلاد الشام ولا سيما جبال لبنان والتي عدت غنية بالحديد ويصفها الإدريسي[٤].

بالقول ((ذلك الجبل فيه معدن حديد طيب جيد القطع يستخرج منه الكثير ويحمل إلى بلاد الشام)). فضلاً عن ذلك فقد وجدت خامات الحديد في حلب وجبال الشراة بالقرب من البتراء وبصرى[٥]. وحران وحانى من ديار بكر، والواقعة في أقاليم الثغور الجزرية [٦]. وزبطرة وتدمر[٧]. فضلاً عن جنوب فلسطين في أيدولية[٨]. وهكذا نجد أن بلاد الشام امتلكت ثروات من

---

(١) الهمذاني، أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الاكوع، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد: ١٩٨٩) ٣١٢؛ الأبشهي، شهاب الدين بن أحمد أبو الفتح: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق أحمد شتيوي، دار الغد، (القاهرة: ٢٠٠٣) ٢/ ٣٠٩

(٢) شيخ الربوه، المصدر السابق، ٧٣.

(٣) اليسوعي، موتين؛ تاريخ لبنان، ترجمة رشيد الخوري، مطبعة الأباء اليسوعيين (بيروت: ١٨٨٩م) ٣٠.

(٤) أبي عبد الله محمد بن عبد الله: نزهة المشتاق في أختراق الافاق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة: ١٩٩٤) ٣٧٠/٢؛ عوض محمد يونس أحمد: الجغرافيين الرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات الاجتماعية (القاهرة: ١٩٩٥)، ١٤٤.

(٥) المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله أبي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه احمد امين فضل، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ٢٠٠٣)، ١٥٦ – ١٥٨، زيود، محمد أحمد، حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولوني حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر للطباعة والنشر،(دمشق، ١٩٩٩) ٢١٢ – ٢١٣.

(٦) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله: معجم البلدان، طبعة جديدة ومنقحة، قدم لها عمر بن عبد الرحمن المرعشي، دار أحياء التراث العربي (بيروت: ٢٠٠٨) ١١٠/٣، عبيد، المرجع السابق ٧٤.

(٧) المقدسي، المصدر السابق، ١٥٦ – ١٥٨.

(٨) المصدر نفسه، ١٥٦ – ١٥٨.

خامات الحديد وبكميات لا يستهان بها وكانت من النوع الجيد ومن المؤكد أن معدن الحديد دخل في مختلف الأستخدامات سواء المدنية أم الحربية. والشيء المهم الذي لا بد من ذكره هنا ان العوامل الافقتصادية كانت دافعاً مهماً لدى الصليبيين في الاستيلاء على العديد من المدن التي كانت تحتوي على خامات المعادن المهمة ولا سيما بيروت وغيرها من المدن[١].

وقد استخدم الحديد في الجانب المدني فقد راجت الصناعات الحديدية بشكل كبير بسبب وفرة الحديد فكانت محلات الحدادة والقيانة لها شأن كبير زمن الحروب الصليبية إذ كانت منتشرة في معظم مدن بلاد الشام ولا سيما دمشق وحمص وحلب والقدس وحماة[٢].

وقد استخدم الشاميون والصناع العرب المقيمين في بلاد الشام فضلاً عن الصليبين الحديد في الكثير من المجالات فقاموا بتحويل الحديد إلى ما يسمى بـ (الفولاذ الدمشقي)[٣]. ومن ثم استعملوا الحديد في صناعة الأبواب والشبابيك سواء أكان ذلك في الدور أم في المساجد فضلاً عن استخدام الحديد في القصور وأسوار المدن وفي صناعة الأقفال[٤]. كما كانت أبواب المحلات

---

(١) أبن شداد، عز الدين ابو عبد الله محمد بن أبراهيم: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، (دمشق: ١٩٦٢)، ١٠١ – ١٠٢.

(٢) أبن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد: رحلة أبن جبير، قدم له ووضع حواشيه وعلق عليه أبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية ط، (بيروت: ٢٠٠٣) ١٩٧ – ٢٠٠؛ أبن بطوطة، شهاب الدين ابي عبدالله اللواتي، رحلة أبن بطوطة، شرح وكتب هوامشه طلال حرب، (بيروت: ٢٠٠٧) ١١٠ – ١١١؛ الياس، أحمد محمد: بلاد الشام أبان العصر الأيوبي، (٥٧٠ – ٦٥٨هـ / ١١٧٤ – ١٢٦٠م) دراسة في النشاط الاقتصادي، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية التربية جامع الموصل (الموصل: ٢٠١١) ٩٣ – ٩٥.

(٣) الفولاذ: يعد من أنواع الحديد ألا أنه مسبوك يقوم به الصناع الحاذقون وليس بمعدن مستخرج بحد ذاته، ويبدو أن المادة الأولية للفولاذ الدمشقي كان يجلب من جبال لبنان لكن تصنيع الفولاذ او ما كان يعرف بالسقاية أي معالجة المعدن ليبدو ذو بريق خاص يميل الى الأزرق ويكتسب صلابة ومرونة كبيرة جداً في الوقت نفسه كانت سراً دمشقياً خاصاً، وقد بقي الفولاذ المسقى مشهوراً حتى بعد أن أخذ الأوربيين صناعة الفولاذ والذي أنتشر في أوربا وانتجو السيوف الفرنجية المشهورة، البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، الجماهر في معرفة الجواهر، مطبعة دار المعارف (بيروت: ١٣٥٥ه) ٢٥٢؛ السودا، يوسف، تاريخ لبنان الحضاري، نشر دار النهار (بيروت: ١٩٧٢) ١١٠ – ١١١؛ كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، ط١، سينا للنشر (القاهرة: ١٩٩٥) ٧٧؛ الحائك منذر: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، تقديم سهيل زكار ط١، الأوائل للنشر والتوزيع (دمشق: ٢٠٠٦) ٢/ ٢٢٢.

(٤) ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله، تاريخة مدينة دمشق، صلاح الدين المنجد، (دمشق: ١٩٥٤) ٣١٩/١؛ خسرو، ناصر: سفرنامة، نقلة الى العربية وقدم له وعلق عليه يحيى الخشاب، ط١، لجنة التأليف والترجمة

التجارية والقيساريات مصنوعة بدقة من الحديد[١]. ودخل الحديد إلى جانب النحاس في صناعة المكاييل والموازين وحذوات الخيول[٢]. وصناعة الخزانات الحديدية وتزيين المنازل وتسقيفها [٣]. كما ولم تكن الأدوات الزراعية بعيدة عن عمل الحدادين ولا سيما المناشير والمناجل والمحاريث والفؤوس، هذا وقد ذاع صيت العديد من المدن الشامية في الصناعات الحديدية أذ عرفت المصيصة بهذه الصناعات ولا سيما صناعة الحديد المحزوز والكراسي الحديدية[٤]. ولهذا استخدام معدن الحديد في مختلف مجالات الحياة المدنية في زمن الحرب الصليبية وهو مرتبط بالخبرة والمهارة الكبيرة التي أمتلكتها أنامل الصناع والحدادين من المسلمين وغيرهم. أما عن استخدام الحديد في مجال الصناعات الحربية فمن المؤكد أن هذا المعدن كان له شأن كبير في تقدم ورقي الصناعة الحربية في زمن الحروب الصليبية والشيء الملفت للنظر أن الحديد كان حاضراً في صناعة الاسلحة الخفيفة والثقيلة على حد سواء وهذا يتطلب تناول أهم الأسلحة والأدوات الحربية التي شكل الحديد الجزء الاهم والاكبر في صناعتها ومنها الأسلحة الخفيفة والتي تشمل:

أ-السيف:

تفنن صناع الأسلحة في بلاد الشام في زمن الحروب الصليبية في مجال صناعة السيوف ولا سيما السيوف التي عرفت بـ (السيوف الدمشقية) التي ذاع صيتها في مختلف أنحاء العالم المعروفة أنذاك[٥].

والنشر (القاهرة: ١٩٤٥) ١٩؛ ابن جبير، المصدر السابق ٢٠١؛ كي، لسترانج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية بيشير فرنسيس وكوركس عواد نشر مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٨٥) ١٤٥؛ المنيني، أحمد بن علي بن صالح: الأعلام بفضائل أهل الشام، تصحيح أحمد سامي الخالدي، المطبعة العصرية (القدس: بلا) ٧٨ – ٧٩.

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ١١٠ – ١١٢؛ ابن جبير، المصدر السابق، ٢٠١.

(٢) ابن جبير، المصدر السابق، ١٤٥؛ لسترانج، المرجع السابق، ١٤٥.

(٣) ابن جبير، المصدر السابق، ٢٠١ – ٢٠٢؛ الطحاوي، حاتم عبد الرحمن: الأقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين الدراسات والبحوث الانسانية (القاهرة: ١٩٩٩) ٢١٥، الياس، المرجع السابق، ٩٣.

(٤) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن حرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: د. ت)؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ط٢، نشر دار العلم للملايين، (بيروت: ١٩٦٩) ٤/٢١٥.

(٥) البدري، أبي البقاء عبد الله، نزهة الأنام في محاسن أهل الشام، ط، دار الرائد العربي (بيروت: ١٩٨٠) ٢١٤ – ٢١٥؛ علي، خطط الشام، ٤/ ٢٢٣؛ قاسم عبدة قاسم: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة،

وقد كانت هذه السيوف تصنع من الفولاذ الدمشقي فكانت مشهورة بصلابتها[١]. وقد قام بصناعتها الحرفيون الشاميون والشرقيون فضلاً عن الصناع اليمانيين[٢]. وقد كانت صناعة السيوف الدمشقية على ما يبدو مثار جدل بين العديد من الباحثين سواء أكانوا من العرب المسلمين أم من المستشرقين، فبعض المستشرقين كان يعترف بجودتها ودقة صناعتها ومدى فائدتها في القتال[٣]. وعن ذلك يقول المستشرق السوفيتي أ. بلبياييف[٤]. ((إن السيوف الدمشقية كانت تصنع من قبل الحاذقين من الصناع)). بل أنه زاد في وصفهم بأنهم أساتذة في هذه الصناعة المهمة وهم يحتفظون بسر الطريقة الخاصة في سقيها وبوتقتها[٥].بل ان بعض المستشرقين ذهب الى أكثر من ذلك فمنهم من يقول أن الصليبين حرصوا على أن يتعلموا صناعة السيوف الدمشقية من الدمشقيين لما تتمتع به هذه السيوف من قوة وصلابة بل أنهم أعجبوا بها أعجاباً شديداً[٦].

في حين نرى أن بعض المستشرقين حاول التقليل من شأن السيوف العربية وبالمقابل كان يعمل على رفع شأن السيوف الفرنجية ولعل أبرز هؤلاء المستشرقين هو كلود كاهن[٧] وهو رجل عرف بأهتماماته في المواضيع والدراسات التي تخص الحروب الصليبية وصناعة الأسلحة، أذ يقول ((لم يكن الفولاذ الدمشقي المشهور ببريقه يضاهي السيوف الفرنجية، فالحرفيون الشرقيون كانوا يصنعون السيوف المعقوفة لا السيوف ذات النصل المستقيم)) . كما يذكر أيضا أن المسلمين

(الكويت: ١٩٩٠) ٢١٦؛ المعلوف، عيسى أسكندر: حقائق تاريخية عن دمشق، المطبعة الحديثة (دمشق: ١٩٢٥) ١٦٠.

(١) السودا، المرجع السابق، ١١٠ – ١١٤؛ لومبار، موريس: الأسلام في عظمته الأولى حتى القرن الثامن عشر للميلاد، ترجمة ياسين الحافظ، دار الطليعة (بيروت: ١٩٧٧) ١٥٩.

(٢) الغزي، كامل: نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، (حلب: د.ت)، ١١١/١؛ لومبار المرجع السابق، ١٥٩؛ ريسلر، جاك: الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون، مراجعة أحمد فؤاد، الدار العربية للتأليف والترجمة والنشر (مصر: بلا) ١٦٦.

(٣) ريسلر، المرجع السابق، ١٦٦.

(٤) الحالة الاقتصادية في عهد الخلافة العباسية، ترجمة جليل كمال الدين، بحث منشور في مجلة المورد، دار الحرية للطباعة والنشر (بغداد: ١٩٧٣) ٢٤٠ العدد ٣/ ٣٧.

(٥) المرجع نفسه، ٣٧.

(٦) ص. ي: الصناعة السورية زمن الحروب الصليبية، مجلة المقتطف (القاهرة : ١٩٠٨) مجلد ٣٣، ٢٠٥ – ٢٠٦؛ هيك، جين: الجذور العربية للرأسمالية الأوربية، ترجمة محمود حداد، الدار العربية للعلوم، ط ١١، ناشرون (أبو ظبي: ٢٠٠٨) ٢٦٥.

(٧) الشرق والغرب؛ ١٧١؛ توجد مخطوطة حول الأسلحة العربية حملت عنوان (ذكر فضيلة الرمي و أوصافه) وهي من تأليف مرضي بن علي الطرسوسي حققت من قبل كلود كاهن ونشرها في باريس في المعهد العلمي الفرنسي عام ١٩٦٨م؛ نقلاً عن الحائك ٢/ ٢٢٣.

كانوا يولون أهمية كبيرة للسيوف الفرنجية [١] والشيء الملفت للنظر والذي ينبغي الوقوف عنده ان كلود كاهن في كتابه الشرق والغرب حينما يذكر صناعة السيوف الفرنجية فإنه يقول أن الفولاذ المسقى في الغرب عرف تحت أسم (الفولاذ الدمشقي) [٢]. والمثير للجدل أذ كان الفولاذ الدمشقي لا يضاهي الفولاذ الموجود في الغرب فلماذا حمل الفولاذ في الغرب أسم الفولاذ الدمشقي؟؟ ولا سيما إن كان هذا الفولاذ من النوع الردئ؟؟ لهذا يمكن لنا أن ندرك بشكل واضح الاختلاف الكبير في وجهات النظر والآراء التي أوردها المستشرقون، ولو استعرضنا مواصفات كلاً من السيوف الفرنجية والسيوف الإسلامية لوجدنا أن السيوف الفرنجية تمتلك مواصفات خاصة بها لا تتوفر في السيوف الإسلامية ويمكن أن نقول أيضاً عن السيوف العربية فهي تمتلك مواصفات لا تتوفر في السيوف الفرنجية، فالفرنجة يؤكدون فاعلية السيوف الفرنجية المصنوعة من الفولاذ القاسي والكبير الحجم الثقيل الوزن والذي يطفي بالسن ويقطع بالحد[٣]. في حين أن السيف العربي صغير نسبياً خفيف الوزن يضرب بالحد فقط[٤].

ويمتاز السيف العربي بخفة الحركة في حين أن السيف الفرنجي يمتاز بالطول وبالعرض اللذين يكسبانه وزناً أكبر، فضلاً عن ذلك فإن السيوف العربية كلها كانت مستقيمة إلى أن بدأ يظهر تحدب بسيط في مقدمتها مع بداية الحروب الصليبية[٥]. لهذا يمكن لنا أن نستنتج أن السيوف العربية كانت تمتاز بجودة صناعتها بل إنها كانت تتغير في طريقة صناعتها لمواجهة السيوف الفرنجية التي كانت تمتاز بجودة عالية في صناعتها، ويبدو أن مسألة ظهور تحدب بسيط في صناعة السيوف العربية يأتي من كون أن السيف المستقيم قد ينثني أثناء القتال في حين ان السيف المحدب يكون أكثر قوة وهذا الاختلاف في صناعة السيف هذه يعود بنا مرة ثانية الى الاختلاف الذي ذكره كلود كاهن والذي يصر أن السيوف الشرقية هي سيوف مستقيمة.

وأنتشرت صناعة السيوف ذات النوعيات الجيدة في مختلف المدن الشامية وقد عدت مدينة دمشق من أحسن مناطق صناعتها زمن الحروب الصليبية[٦]. فضلاً عن ذلك فقد نالت مدينة حلب

---

(١) كاهن، المرجع السابق، ٢٦٥.

(٢) الشرق والغرب، ٨٧.

(٣) الحائك، المرجع السابق، ٢/ ٢٢٣.

(٤) المرجع نفسه، ٢/ ٢٢٣.

(٥) أبن منقذ، اسامة: الاعتبار، تحرير مصطفى نبيل، دار الهلال (دمشق: د. ت) ٤٢؛ الغزي، المصدر السابق، ١١١/١؛ الياس، المرجع السابق، ٩٣؛ ص. ي، المرجع السابق، ٢٠٥.

(٦) علي، مخطط الشام، ٢١٣/٤؛ الحائك، المرجع السابق، ٢٢٣/٢.

شهرة لا تقل عن تلك الشهرة التي نالتها دمشق في مجال صناعة السيوف[١]. ويبدو أن الصليبين قد تأثروا بهذه الصناعة حتى انتشرت في العديد المدن الصليبية[٢]. هذا واحتوت دمشق في زمن الحروب الصليبية على أنواع كانت نادرة من السيوف صنعت بعناية فائقة وغالباً ما كانت هذا السيوف تحفظ في خزائن قصور الأمراء والسلاطين الأيوبيين والمماليك[٣]. لهذا يتضح أن سوق السيوف في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ما كان لها أن تصل إلى ما وصلت أليه لولا مهارة الصناع ودقة عملهم.

بـ صناعة الدروع والتروس والرماح والخوذ:

عرفت بلاد الشام خلال الحروب الصليبية العديد من أنواع الأسلحة التي كانت تصنع من مختلف انواع المعادن ولعل أبرزها هي الجواشن[٤] والتروس[٥] والأقواس (ولا سيما قوس الجرخ الذي أشتهر في الحروب الصليبية) والرماح والدروع[٦]. فضلاً عن ذلك فقد عدت الخوذ من اهم الأسلحة الوقائية التي يرتديها المقاتلون اثناء المعارك وهي في الغالب تصنع من الحديد والنحاس وتزين بريش أو مواد معدنية[٧]. ومن الجدير بالذكر ان هذه المواد تعد من المستلزمات الضرورية لقيافة المقاتل المسلم في الحروب الصليبية.

---

(١) الحائك، المرجع السابق، ٢/٢٢٢.

(٢) أبن منقذ، المصدر السابق، ٤٢.

(٣) ابن منقذ، المصدر السابق، ٤٣.

(٤) الجواشن: وهو بمثابة الدرع يصنع من صفائح من المعادن يلبسه المقاتل على ظهره ، ابن منقذ، المصدر السابق، ٦٣ – ٦٨؛ ابن سلام، ابو عبيد: كتاب السلاح، تحقيق حاتم صالح الضامن، مجلة المورد (بغداد: ١٩٨٤) مج ١٢، ع ٤/٢٤٠؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة،. (القاهرة: د.ت) ٦/٢٤٢؛ ريسلر، المرجع السابق، ١١٧ – ١١٨.

(٥) التروس: وهي من الأسلحة الوقائية التي يحملها المقاتل في يده يتقي بها الضرب عن الوجه ونحوه؛ ابن منقذ، المصدر السابق، ٦٣ – ٦٥؛ ابن منظور، جمال الدين عمر بن مكرم الانصاري، لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة دار صادر (بيروت: ٢٠٠٨) ٣/٢٢١؛.

(٦) الدروع: من الاسلحة الوقائية التي كانت تشبه الثوب يرتديها المقاتل في المعارك، ابن سلام، المصدر السابق، ٢٤٠.

(٧) الخوذ: كان يطلق على الخوذ التي يرتديها المقاتلون المسلمون في زمن الحروب الصليبية أسم كزاغند وقيل بأنها خوذ بلا لثام لتحمي الرأس، أبن منقذ، المصدر السابق، ٦٣ – ٦٨؛ نخبة من الباحثين؛ قاموس الكتاب المقدس، طبعة٢، صادرة عن جمع كنائس في الشرق الأدنى (بيروت: ١٩٧١) ٤٧٧.

وكان يصنع من الفولاذ الدمشقي أنواع أخرى من الأسلحة منها نصال الرماح والسكاكين والحراب [١]. كما وتأثر الصليبيون ببعض أنواع الأسلحة الدفاعية او الوقائية التي داب المسلمون على استخدامها مثل (المتراس) (portcullis) والذي هو في الأصل عبارة عن إطار يصنع من الحديد وهو مدبب الأطراف من اسفله، ينزلق بشكل عامودي إلى جانب باب الحصن، أي بمعنى أخر أنه يكون كالشبكة عند محاولة العدو اقتحام الحصن أو القلعة ويسدل بواسطة سلاسل كانت تصنع من الحديد أيضاً[٢]. ويفهم من ذلك ان المتراس هو نوع من أنواع أسلحة التحصينات التي أستخدمها المسلمون خلال الحروب الصليبية والشيء الملفت للنظر أن الأسلحة المذكورة التي يمكن أن نطلق عليها الأسلحة الخفيفة لم تكن بعيدة على الأساليب الفنية الرائعة لصناع الأسلحة المسلمون لكون معظمها كان يخضع لعملية التكفيت أي التطعيم[٣]. وقد تأثر المحاربون الصليبيون والصناع الفرنجيون بفن التكفيت الإسلامي وحرصوا على نقله إلى المصانع الأوربية [٤].

بعد ان انتهينا من ذكر استخدام معدن الحديد في صناعة الأسلحة الخفيفة، سنعرج على استخدام هذا المعدن في صناعة أسلحة المراكب الحربية ومعداتها لأن هناك حقيقة لا يختلف فيها اثنان وهي بأن هياكل المراكب الحربية كانت تعتمد على الأخشاب في حين أن معظم أدوات هذه المراكب كانت تصنع من المعادن بداً من المسامير[٥]، ولعل أبرز هذه الآلات والأدوات الخاصة بالمراكب الحربية هي:

١ـ اللجام: وهي عبارة عن اداة من الحديد طويلة محدبة الرأس جداً أسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل في أسفلها خشبة كالقناة بارزه في مقدمة المراكب يقال لها (الاسطام) فيصير اللجام كأنه سنان

---

(١) ابن جبير، المصدر السابق، ١٩٧ – ١٩٨؛ أحمد غسان سبانو؛ دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية، دار الكتاب العربي (دمشق: د.ت) ٦١؛ حلاق، حسان، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت: ٢٠١٢) ٢٤٨.

(٢) سوريال، عزيز، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف (القاهرة: ١٩٧٢) ١١٣ – ١١٤؛ علي السيد علي: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، ط١، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية (القاهرة: ١٩٩٦) ١٣٧ – ١٣٨.

(٣) التكفيت: هي عملية تطعيم بعض أنواع الأسلحة والأدوات والأواني المنزلية بالمعادن الثمينة ولا سيما الذهب والفضة، المقريزي، تقي الدين بن علي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والأثار (مطبعة بولاق: ١٢٧٠ه) ١٠٤/٢؛ زيات حبيب: الخزانة الشرقية، المطبعة الكاثوليكية (بيروت: ١٩٣٧) ١٥٠/٢.

(٤) الإدريسي، المصدر السابق، ٣٧٤/١؛ زكي محمد حسن: الفنون الإسلامية الإيرانية في العصور الوسطى، دار الرائد العربي (بيروت: ١٩٨١) ٢٤٠؛ ماهر المرجع السابق،١٥٠؛ علي، العلاقات الاقتصادية، ١٤٠.

(٥) أبن مماتي، أسعد: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة: ١٩٩١)، ٣٦٤.

بارز من مقدم السفينة، وقد أستخدمت هذه الالة لنطح سفن الاعداء وخرقها مما يؤدي إلى دخـــول الماء فيها وأغراقها[١].

٢ـ الدبابة: تعد الدبابة من الأسلحة المهمة التي تحمل في المراكب الحربية والتي كانت تستخدم في مهاجمة الحصون وتسلق الأسوار، وقد شكلت المعادن ولا سيما الحديد والنحاس الأصفر فضلاً عن الرصاص أهم طبقات هذه الآلة الحربية المهمة[٢].

٣ـ المستوفيات: وهي عبارة عن عمد مصنوعة من الحديد يبلغ طولها ذراعان وهي مربعة الأشكال لها مقابض مدورة تمسك باليد[٣].

٤ـ الدبابيس: وهي عمد صنعت أيضاً من الحديد تشبه إلى حد كبير المستوفيات لكنها تختلف فـــي الرأس أذ تكون الدبابيس مدورة مضرّسة، وقد تغطى هذه الدبابيس العمد في بعض الأحيان بالجلـــد (الكيمخت) [٤]

٥ـ اللتـوت: عمد من الحديد ذات رؤوس مفرسة، وقد كانت هذه اللتوت تحتوي على مقابض تصنع من الخشب المحكم التدوير، كما وتصنع خرزتها من الحديد في المقـــبض وفـــي بعـــض الأحيـــان تضرّس تدويرة الخرزة أو ربما تسنن[٥]

٦ـ الكلاليب والباسليقات: تعد الكلاليب والباسليقات من الأدوات الحربية المهمـــة فـــي المراكـــب الحربية التي كانت تصنع بدقة متناهية من معدن الحديد، والكلاليب عبارة عن نوع من الخطاطيف

---

(١) الخولي، أمين: الجندية والسلم، ط١، مطبعة الرسالة، (القاهرة: ١٩٦٠)، ٩٨؛ العدوي، ابراهيم: قوات البحريـــة العربية في مياه المتوسط، مكتبة نهضة مصر، الفجالة (القـــاهرة، ١٩٦٣)، ١٧٨ – ١٨٣؛ الربابعـــة، حســـن محمد: حرب الاساطيل، قراءة جديد في ديوان البحتري، ط١، المركـــز القـــومي للنشـــر، (الاردن: ١٩٩٩)؛ الجبوري، عامر ابراهيم داؤد: الاسطول الحربي في العصرين الايوبي والمملوكي، رســـالة ماجســـتير غيـــر منشورة مقدمة الى كلية الآداب، (جامعة الموصل: ٢٠١٢)، ٤٣.

(٢) ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الـــدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: ١٩٦٤)، ٤٢.

(٣) القلقشندي، المصدر السابق، ٣/ ٤٧٧؛ ابو سديرة، المرجع السابق، ٢٠٧؛ سالم والعبادي، ١٤٠ – ١٤١

(٤) القلقشندي، المصدر السابق، ٣/ ٤٧٧؛ ابو سديرة، المرجع السابق، ٢٠٧.

(٥) القلقشندي، المصدر السابق، ٣/ ٤٧٧؛ ابو سديرة، المرجع السابق، ٢٠٧.

الحديدية التي يستعملها البحريون وذلك برميها على مراكب العدو ثم تجذب المراكب ليتم العبور عليها بواسطة الألواح الخشبية أو السلالم التي تصنع من الحبال[١].

وفي أثناء الحروب الصليبية كان مقاتلو المراكب البحرية الأسلامية يجيدون استعمال هذه الكلاليب، فقد أستعمل أهل صور الكلاليب لمواجهة قوات الصليبيين عند حصارهم لمدينتهم في سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م) [٢] وعن تفاصيل هذه المعركة التي أستبسل فيها أهل صور، فقد ذكرت الروايات التاريخية أن الصليبين أطبقوا الحصار على هذه المدينة وأخذوا يتقدمون بواسطة الأبراج والأكباش[٣] فقام رجل من أهل صور وهو من الصناع الماهرين بصناعة كلاليب من الحديد لكي يستطيع من خلالها الإمساك بالكبش الصليبي من ناحية الرأس وأخذ يربط الكلاليب بحبال ثم يجذبها فتميل الأبراج ثم تتهاوى وتتكسر كما أستخدم المسلمون هذا النوع من الاسلحة أيضاً أثناء حصار الصليبيين لمدينة صور سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م)[٤] وقد كانت الكلاليب مصنوعة بطريقة فنية محكمة أذ أنها ما أن تمسك بالأبراج حتى تعيق حركتها، كما أنها تحتاج إلى قوة بدنية كبيرة لسحب المراكب وجذبها ومن ثم قلبها.

أما الباسليقيات فهي عبارة عن سلاسل حديدية تنتهي عند رؤوسها رمانة صنعت من الحديد أيضاً وكانت تستخدم للقتال على سطح المراكب والسفن[٥] كما وقد عدت المسامير والمراسي والروابط وهي جمعيها كانت تضع من الحديد من أبرز أدوات المراكب الحربية[٦]

---

(١) ابن القلانسي، ابو يعلى حمزة: ذيل تاريخ دمشق (بيروت: ١٩٠٨) ١٧٩؛ ابن منظور، المصدر السابق، ١٠٤/٥؛ عثمان فتحي: الحدود الإسلامية مع البيزنطين والاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة: ١٩٦٧) ٣٧٥/٢، سالم والعبادي، المرجع السابق، ١٤٠ – ١٤١؛ حسين، محسن محمد: الجيش الايوبي في عهد صلاح الدين الايوبي، ط١، مؤسسة الرسالة (بغداد: ١٩٨٦)، ٣٣١.

(٢) ابن القلانسي، المصدر السابق، ١٧٩؛ سالم والعبادي، المرجع السابق، ١٤٠ – ١٤١.

(٣) الأكباش: مفردها كبش، وهي هيكل خشبي يحتمي به المقاتلون، الزردكاش، أبن ارنبغا: الأنيق في معرفة المناجيق، تحقيق أحسان هندي، معهد التراث العلمي العربي (حلب: ١٩٨٥) ٨٢٣؛ ابن القلانسي، المصدر السابق، ١٧٩؛ سالم والعبادي، المرجع السابق، ١٤١.

(٤) سالم والعبادي، المرجع السابق، ١٤١.

(٥) ابن القلانسي، المصدر السابق، ١٢٣؛ الاصفهاني، عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، المطبعة الخيرية، (مصر: ١٩٠٤)، ٦٦.

(٦) فهمي، علي محمود: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبيد قاسم، دار الوحدة، ط١، (بيروت: ١٩٨١) ٨٨.

فضلاً عن ذلك فقد عرفت المراكب الحربية الإسلامية في زمن الحروب الصليبية أسلحة أخرى لعل من أبرزها الرماح والفؤوس والأقواس ذات الأنصال الحادة والتي كانت تصنع جميعاً من المعادن ولا سيما معدن الحديد[١]، ويبدو أن بلاد الشام قد اشتهرت بهذه الأنواع من الأسلحة وكثيراً ما كان الناصر صلاح الدين الأيوبي يقوم بأرسال هدايا كان بينها قسي وسيوف ورماح إلى المنصور الموحدي[٢].

وعرفت بلاد الشام العديد من دور صناعة السفن والمراكب الحربية ومعداتها ولعل أبرز دور الصناعة كانت في صور وعكا[٣] وأعتمد الناصر صلاح الدين الأيوبي في بناء سفنه ومراكبه على الحديد الموجود في جبال لبنان[٤] ويبدو أن المراكب الحربية في زمن الحروب الصليبية وأدواتها ومعداتها كانت في تطور مستمر إلى أن بلغ هذا التطور ذروته باستعمال النار التي حملت تسميات عديدة منها (النار الإغريقية أو النار اليونانية أو النار البحرية) [٥] والتي كانت سلاحاً فعالاً في مواجهة الصليبين والسؤال الذي يتبادر إلى الأذهان من اين جاءت النار الاغريقية وما هي علاقتها بأسلحة المراكب الحربية المصنوعة من المعادن؟ والجواب على هذا السؤال هو ان المسلمين أضطروا في البداية الى أستخدام النار الاغريقية التي كانت في الاصل من الأسلحة التي

---

(١) ابن سلام، المصدر السابق، ٢٤٠؛ أبو سديرة، المرجع السابق، ٢٠٧؛ سالم والعبادي، المرجع السابق، ١٤١.

(٢) المنصور الموحدي: ابو يوسف يعقوب بن أبي يوسف بن أبي محمد عبد المنعم علي القيسي صاحب بلاد المغرب وقد بويع بالخلافة في سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)، أبن خلكان، ابو العباس بن شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة (لبنان: د.ت)، ٢٧٤/٨؛ أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٩٩٧) ٢٠٤/٤؛ الياس، المرجع السابق، ٩٤.

(٣) زيود، المرجع السابق، ٢٢١؛ الياس، المرجع السابق، ٩٧.

(٤) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ٥٠؛ ماهر، سعاد، البحرية في مصر الاسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربي (القاهرة: ١٩٦٧) ٢٣٤.

(٥) النار الاغريقية: كانت النار الاغريقية تصنع من خلطة كبريت نقي وحامض الطرطريك والفحم الناري والغاز والنترات ثم يمزج الخليط معاً ويغمس في هذا الخليط نسيج كتان فأذا أشتعلت فيه النار أنتشر اللهب في الحال؛ الطرطوسي، تبصر الارباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ونشر ألاعلام في العدد والالآت المعينة على لقاء الاعداء، تحقيق كلود كاهن، (بيروت: ١٩٤٨)، ٢٣١؛ الزردكاش، المصدر السابق، ١٧؛ ابن الفرات، ناصر الدين بن محمد بن عبد الرحمن، تاريخ ابن الفرات، تحقيق حسين محمد الشماع (البصرة: ١٩٦٩) ٨٠٢/٢؛ أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت: د. ت)، ٣٢١/٥؛ قلعجي، قدري: صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب العربي، ط٥ (القاهرة: ١٩٧٩) ٣٩٠ – ٣٩١

يستخدمها الصليبين، ألا أن الصناع الماهرين في بلاد الشام ولا سيما النحاسين كانوا قد أدوا دوراً بارزاً في مسالة أختراع النار الاسلامية[١]، فقد تمكن شاب من أهل الشام بعد دخوله الى عكا المحاصرة من تصنيع الة تقذف النار و تحرق العديد من أبراج الصليبين التي تقدمت إلى عكا وقد استخدمت هذه النار لأول مرة عام (٥٨٥هـ / ١١٩٨م)[٢] وقد استفاد العرب المسلمون من النار الإسلامية عن طريق النفاطين، إذ سجل العرب تقدماً كبيراً هذا المجال، أذ كانت النار الاسلامية تثير الفزع والرعب في نفوس الصليبيين[٣] ومن الجدير بالذكر أن هذه النار تظل متقده حتى على سطح الماء وهذا ما يبينه البيت الشعري القائل:

والحرب من جربب ميزانها تطأ المياه بشدة الايقاد. [٤]

فضلاً عن ذلك فقد عرفت المراكب الحربية نوعاً أخر من الاسلحة حمل اسم مكاحل البارود وهي عبارة عن مدافع يرمى بها النفط على الاعداء وكانت تصنع في الغالب من معدن النحاس[٥] وقد حرصت الخلافة العباسية على إرسال المقاتلين الى صلاح الدين للمساعدة في صنع القذائف النارية وتحرير بلاد الشام من براثن الاحتلال الصليبي[٦].

(١) النار الاسلامية: لقد تمكن الكيميائيين العرب بالتعاون مع النحاسين في بلاد الشام من معرفة سر صناعة النار الاغريقية فعدلوا عليها فصارت أكثر فتكاً من النار الاغريقية فكانت النار الاسلامية مزيجاً من كبريت مسحوق ورطلين من فحم بلدي وستة أرطال من نترات البوتاس (ملح البارود) ثم يوضع المزيج في أوعية طويلة تغطى فتحتها بسلك حديدي وتشعل الانابيب ثم تقذف النار بواسطة اسطوانات وأنابيب مصنوعة من النحاس ويكون لها أنفجار مدويّ يسحبه دخان كثيف مسبوق بلهب، وكانت توضع في مقدمة المراكب الحربية تماثيل تصور مناظر الاسود وغيرها من الحيوانات الضارية، تنبعث من افواهها النار المقذوفة على سفن العدو، العدوي: قوات البحرية، ١٧٨ – ١٨٣؛ العدوي: الاساطيل البحرية في البحر الابيض المتوسط، مكتبة النهضة، (القاهرة: د.ت)، ١٦٥

(٢) ابن الفرات المصدر السابق، ٢/ ٨٠٢..

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ٢٨٤/١؛ زيود، المرجع السابق، ٢٢٥.

(٤) الصقلي، ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، دار صادر (بيروت: د.ت) ١٤٦؛ الربابعة، المرجع السابق ٢٤.

(٥) الزردكاش، المصدر السابق، ٢٢.

(٦) الديوه جي، سعيد: تاريخ الموصل (الموصل: ١٩٨٢) ١/ ٤٣٥.

٢ـ النحاس:

وهو من المعادن المهمة والصالحة للاستعمال في كثير من الصنائع ولا سيما بعد أن تطرق صفائحه أو تجذب أسلاكه وهو قريب من الفضة والفرق بينهما هو حمرة اللون[١] وقد ورد ذكر النحاس المذاب في القرآن الكريم لقوله تعالى:

{قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً}[٢]

أما عن أماكن توزيع وانتشار النحاس في بلاد الشام فيبدو أن هذه البلاد قد عرفت النحاس منذ أقدم الأزمنة، فقيل أن ملوك سوريا قبل الميلاد كانوا يدفعون الجزية لملوك مصر من النحاس المتوفر في بلادهم[٣] فقد وجدت كميات كبيرة من النحاس في فلسطين والشام ولبنان ((أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاساً[٤])) كما وجدت كميات لا بأس بها من النحاس في جبل الجوشن[٥] الذي وصفه أبن العديم[٦] بالقول ((هذا الجبل فيه معدن النحاس)).

فضلاً عن ذلك عدت مدينة صور من أهم الأماكن التي وجد فيها النحاس ولا سيما الأصفر منه[٧] كما وجدت كميات من النحاس بالقرب من بيروت ودمشق، واشتهرت الأخيرة بجودة نحاسها والذي حمل أسم النحاس الدمشقي ولذا شاع ذكره في مختلف أرجاء العالم المعروفة آنذاك[٨] ووجد النحاس أيضاً بكميات كبيرة في منطقة المصيصة[٩].

أما عن دخول النحاس في زمن الحروب الصليبية في الكثير من الصناعات فلا شك ان هذا المعدن كان قد شكل جزءاً لا يتجزأ من الكثير من الصناعات المدنية التي انتشرت أبان هذه الحقبة

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ١٤/ ٢١٠، واضح، الصمد، الصناعات والحرف في العصر الجاهلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر (بيروت: ١٩٨١) ١٧٦.

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٦.

(٣) ابن منظور، المصدر السابق، ١٤/ ٢١٠، الصمد، المرجع السابق، ١٧٦.

(٤) نخبة من الأساتذة، المرجع السابق، ٩٦.

(٥) جبل الجوشن: جبل غربي حلب ومنه يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٩٣/٣، ١٢٢ – ١٢٣.

(٦) بغية الطلب، ٤١١/١.

(٧) محمد، احمد رمضان احمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، دار الجيل، (الاسكندرية: ١٩٧٠)، ١٢٢ – ١٢٤.

(٨) خسرو، المصدر السابق، ٢٢.

(٩) المصيصة: وهي قرية من قرى دمشق وهي تقع بالقرب من بيت لاهيا فيها الكثير من الصناعات، ابن العديم، المصدر السابق، ٤٩٠/١؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٢٧٩/٨.

فظهرت الأسواق العديدة الخاصة بالصفارين في بلاد الشام ولا سيما في مدينة دمشق التي وصفت فيها صناعة النحاس بأنها من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدور الناس[١] فضلاً عن ذلك عرفت مدن حلب وقيسارية أسواق خاصة بـ (الصفارين) كانت تصنع فيها أدوات وأواني من النحاس غاية في الروعة[٢] ، وهذه الصناعة المتطورة متأتية من وفرة النحاس في بلاد الشام لدرجة أن ذلك انعكس حتى في العادات والتقاليد الاجتماعية وهذا ما يوضحه أبن بطوطة[٣] أذ قال ((ومن عوائدهم في تلك البلاد أن البنت يجهزها أبوها ويكون معظم جهازها من أواني النحاس)).

وقد كان النحاس الدمشقي فائضاً عن الحاجة فكان يصدر إلى مصر ويذكر ناصر خسرو[٤] أنه شاهد في مصر امرأه لديها خمسة الأف قدر صنعت من النحاس الدمشقي اذ يقول ((رأيت قدوراً من النحاس الدمشقي)). وكانت أسواق الصفارين في بلاد الشام تضم اثناء الحروب الصليبية صناعاً من مختلف الفئات سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين ويبدو أن تفسير وجود صناع من ديانات أخرى كان بسبب التسامح الديني الذي يظهره المسلمون تجاه الفرنجه[٥] ولهذا أخذ الصناع في بلاد الشام يصنعون الأواني والأدوات النحاسية لمختلف الأذواق وقد هاجر الكثير من الصناع من مختلف المدن الإسلامية واستقروا في بلاد الشام ولا سيما من الموصل[٦] لأن الأخيرة كانت من أشهر المراكز المتخصصة في تطعيم المعادن[٧]

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ١/ ٣١٩؛ ابن جبير،المصدر السابق، ١٣٨؛ حسن، محمد صديق، الحياة السياسية والاقتصادية في بلاد الشام من قيام الدولة العباسية حتى نهاية عصر المتوكل (١٣٢ – ٢٤٧هـ / ٧٤٩ – ٨٦١) أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة الموصل كلية الآداب، (الموصل: ٢٠٠٥) ١٤٥ – ١٦٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣١٩/١؛

(٣) رحلة أبن بطوطة، ٨٤.

(٤) سفر نامة، ٦١.

(٥) كاهن، الشرق، ٢٥٠؛ ص. ي، المرجع السابق، ٢٠٥.

(٦) ماهر، سعاد: الفنون الأسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة: ١٩٨٦) ١٥٠؛ اشتور، أ: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عدبلة، مراجعة أحمد غسان سبانو، دار قتيبة (دمشق: ١٩٨٥) ٣٧٧ – ١٧٨؛ DAVID, JACOBY :Silk Econo Mics and cross cultural Artistic interaction : By Zentuim The Muslim world and christiaoan west, papers Vol ٥٨ (٢٠٠٤), p. ١٩٧ – ١٩٨، مصدر متاح على موقع المكتبة العراقية الافتراضية.

(٧) أشتور، المرجع السابق، ٣٧٧ – ٣٨٨؛ الديوجي. سعيد: أعلام الصناع المواصلة (الموصل: ١٩٧٠) ٨٨؛ احمد قاسم الجمعة ومحمد خضر محمود: رسوم الخيل على الفنون التطبيقية حتى نهاية العصر العباسي، مجلة آداب الرافدين، مجلة علمية تصدر عن كلية الآداب جامعة الموصل (الموصل: ٢٠١١)العدد ٦٠/ ١٧٣.

وعند استعراض ابرز المجالات الصناعية التي دخل فيها النحاس زمن الحروب الصليبية لو نجد أنها كانت كثيرة بدءاً من المساجد ولا سيما أن معظم مآذن المساجد كانت مصنوعة من النحاس[١] فضلاً عن ذلك فقد دخل النحاس الدمشقي في صناعة الأبواب والشبابيك المزخرفة[٢]، وقد دخل النحاس إلى جانب الحديد في صنع الموازين والمكاييل وأنواع الأقفال[٣] وكان النحاس حاضراً في صناعة أنابيب نقل المياه وتوزيعها [٤] كما أنتج الصفارون في بلاد الشام أروع التحف الفنية من أواني وأدوات نحاسية وصحون وأباريق وزهريات وشمعدانات ومحابر[٥] وكثيراً ما كانت هذه التحف تكفت بالذهب والفضة[٦].

ولعل أبرز التحف التي صنعها الصناع المسلمون هو تمثال صنع من النحاس الأصفر المكفت بالفضة، فضلاً عن ابريق صنع من النحاس الأصفر ايضاً كتب عليه أسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وهو محفوظ في متحف اللوفر بباريس ومثبت عليه بأنه صنع في دمشق[٧]، فضلاً عن ذلك فتعد الساعة الموجودة في بلاد الشام التي صنعت من النحاس الأصفر من أبرز الآثار التاريخية التي نالت أعجاب المستشرقين ومنهم جان سوفاجية[٨] والتي يقول عنها بأنها صممت من قبل محمد علي الخراساني في أيام نور الدين الشهيد سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٩م) ولا نعرف بالضبط هل أن الأدوات والأواني والأدوات المنتشرة في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية كانت تصنع بحسب رغبات وأهواء الزبائن أم أنها كانت تصنع حسب أذواق الصناع؟؟ ربما كان كلا الأمرين معاً.

فقد كان الافرنجة يطلبون من الصناع المسلمين صناعة أدوات وأواني نحاسية من مختلف أنواع النحاس تثبت عليها عبارات وشارات مسيحية ورسوم على شكل حيونات وطيور وكثيرا ما

---

(١) ابن منقذ، المصدر السابق، ٣٥.

(٢) لبن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٣١٩/١؛ خسرو، المصدر السابق، ٢٢.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ١/ ٣١٩؛ لسترانج، المرجع السابق، ١٤١ – ١٤٥.

(٤) لسترانج، المرجع السابق، ١٤١ – ١٤٥.

(٥) ابو البقاء، المصدر السابق، ٢١٤؛ لسترانج، المرجع السابق، ١٤٥.

(٦) المقريزي، المصدر السابق،١٠٤/٢؛ حبيب، المرجع السابق، ٢/ ١٥٠.

(٧) الادريسي، المصدر السابق، ٣٧٤/١؛ الياس، المرجع السابق، ٩٢؛ زكي، الفنون الأسلامية الأيرانية، ٢٤٠، ماهر، الفنون، ١٥٠؛ علي السيد علي: العلاقات الاجتماعية بين المسلمين والصليبين، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية، ط١، (القاهرة: ١٩٩٦) ١٤٠.

(٨) الأثار التاريخية في دمشق، عربه وعلق عليه أكرم حسن العلبي، دار الطباع للطباعة والنشر، ط١، (دمشق: ١٩٩١) ٤٤.

كانت هذه الأواني تستخدم في المناسبات الدينية ولاسيما في الكنائس من قبل القساوسة مثل غسل ايديهم قبل القداس واثناءه وبعده فضلاً عن سكب الماء والخمر وهي ما عرفت بأسم (اكوامانيل)[١] ولعل ابرز القطع الفنية التي كانت قد صنعت من النحاس وبحسب رغبات الزبائن الفرنجة هو اناء نحاس كبير وهو محفوظ حتى الان في متحف اللوفر يعرف بأسم (معمدة القديس لويس Baptisterelde Saint Loais) وعلى هذه القطعة يوجد امضاء الصانع الشامي[٢].

أما القسم الأخر من هذه الأدوات والأواني النحاسية فكانت تصنع حسب ذوق الصانع المسلم لكنها في الوقت نفسه تلائم ذوق الزبون الفرنجي ويثبت عليها شارات ورسومات والتي هي في الأصل من الأساطير وغالباً ما كانت تكفت هذه التحف بالفضة و الذهب[٣] .

ولعل أبرز هذه التحف إناء كبير (مطعم) وهو من مجموعة دوق دار نبرج ويضم زخارف مثبت فيها مناظر دينية مسيحية كقصة البشارة ورسم السيد المسيح والعذراء والعشاء الرباني وعلى هذه التحفة مثبت اسم السلطان صالح نجم الدين أيوب [٤].

وقد أقبل الافرنجة على شراء هذه الأدوات النحاسية بشكل كبير ولا سيما التي كانت تزين بالنقوش والحفر والتي تحمل مختلف الأشكال من الرسوم [٥]، ويبدو إن الصناع المسلمين كانوا يبالغون في حجم هذه الأواني حتى يقال ان هذه الأدوات كانت من الصعوبة على الحاج الغربي او المحارب الصليبي حملها[٦] ولم يكتف الأوربيون بهذا أي مسألة الإقبال على شراء الأواني والتحف المعدنية فحسب بل أصبح تأثير فن صياغة المعادن الإسلامية واسع الانتشار في أوربا والدليل على

---

(١) محمد، المرجع السابق، ١٢٤؛ زكي محمد حسن: الفنون الايرانية في العصر الاسلامي، دار الرائد العربي (بيروت: ١٩٨١)، ٢٤٠.

Van Berchem, Etude Sure cuireres damsqiresief. les rererys emaillee, Journal. Jaurnal Asiatic .Vol.III ١٩٦٤. P٥٠ ؛J. J. Sann ders: AHisToRy of MEDIEVAL ISLAM , (London : ١٩٦٥), p. ٧٧. مصدر متاح على الموقع الالكتروني للمكتبة العراقية الأفتراضية.

(٢) محمد، المرجع السابق، ١٢٤

(٣) ماهر، الفنون الاسلامية، ١٥

(٤) تراث الاسلام، اثر الفنون الزخرفية والتطوير عند المسلمين على الفنون الاوربية، تصنبف شاخت بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري واخرون، سلسلة عالم المعرفة (الكويت: ١٩٨٨) ٤٥٨؛ محمد، المرجع السابق و ١٢٤؛ ماهر، الفنون الاسلامية، ١٥٠

(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ١١٢-١١٥، حلاق، حسان؛ العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية (بيروت: ٢٠١٢) ٢١٤- ٢١٥

(٦) تراث السلام، المرجع السابق، ٤٥٨،

ذلك ظهور عدد كبير من الطسوت والقصاع والأطباق الكبيرة والأباريق والشمعدانات كانت قد صنعت في مدينة البندقية الايطالية وهي تشبه إلى حد كبير الأواني النحاسية التي كان المسلمون يصنعونها في بلاد الشام [١].

ولازالت الكثير من المناطق في أوربا إلى يومنا هذا تحتفظ بالعديد من القطع الفنية الرائعة التي صنعت من قبل الصناع المسلمين في عصر الحروب الصليبية ومنها على سبيل المثال مبخرة مصنوعة من خليط من النحاس الأحمر والفضة يعود تاريخها للأعوام (٦٢٨-٦٣٨هـ/١٢٣٠-١٢٤٠ م) وهذه القطعة بتوقيع حرفي من أهالي الموصل اسمه محمد ابن خلتج الموصلي (ت٦٣٩ هـ /١٢٤١ م) وكان مكان صناعة هذه القطعة الرائعة في دمشق [٢] فضلا عن أبريق من النحاس الأصفر يعود تاريخه إلى سنة (٦٤٠ هـ/ ١٢٤١م) صنع أيضا من قبل نحاس موصلي اسمه احمد الذكي النقاش الموصلي[٣] وشمعدان أيضا صنع من النحاس يعد تاريخه إلى سنة (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) كان قد صنع من قبل صانع موصلي اسمه داؤد بن سلامة الموصلي ويمتاز هذا الشمعدان بالكثير من موضوعات الزخرفية المسيحية كمنظر ميلاد السيد المسيح والمعمودية والختان والعشاء الاخير، وقد كانت هذه الموضوعات مؤلفة في التحف الفنية المصنوعة في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية [٤]، فضلاً عن ذلك فأن الكثير من القطع المعدنية كانت تصنع من قبل الصناع المواصلة كان يكتب عليها عبارات وادعية ولعل ابرز هذه القطع قطعة حملت أمضاء صانع اسمه حسين محمد الموصلي ويعود تاريخ صناعتها الى سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٧م) [٥] كما

---

(١) الديوجي، اعلام الصناع، ١٠٩؛ كلود، كاهن: الاسلام منذ نشأته حتى ظهور السلطة العثمانية، ط١، (بيروت: ٢٠١٠) ٤٠٥

(٢) سالم، الفنون الاسلامية ١٠ /٢٩٧

(٣) هذا الأبريق النحاسي لا يزال محفوظ لحد الأن في كليفلاند وهو مؤرخ سنة (٦٢٠ ه/ ١٢٢٣) ولهذا نلاحظ اختلاف في ذكر التاريخ المثبت على هذا الابريق مابين سنة الى (٦٤٠ هـ /١٢٤٢م) وتتفق معظم الروايات على نسبه الى احمد الذكي الموصلي ويذكر ان الزخارف المثبتة عليه كانت كفتت بالفضة والبدن مصنوع من النحاس الاصفر وفي احدى جاماته الزخرفية مشهد جيد لشخص راكب على جواده وقد امسك طيراً جارحاً فنظر بشكل جانبي وهو منتظر على الأرجح الفريسة التي سيصيدها. الديوجي، اعلام، ٨٨؛ العبيدي صلاح حسين، التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي (بغداد: ١٩٧٠) ٣٩؛ الجمعة ومحمود، المرجع السابق و ١٧٣؛

Pope, Arther: Asurvey of persain Art, oxford, unversity press London, Vol, VI, P. ١٣٤

(٤) حسن،زكي محمد: فنون الاسلام، دار الفكر العربي (بيروت: د. ت) ٥١٢، ٥٤٦

(٥) ابو أرشيد، يوسف أرشيد: الحضارة الاسلامية (نظم علوم فنون)، ط٢، دار العبيكان، (الرياض: ٢٠٠٥)، ٤٥٠.

انتج الصناع المواصلة أبريقاً من النحاس كان في غاية الروعة يعود تاريخه إلى سنة (٦٥٩ هـ / ١٢٥٩م)[١]. ومن الجدير بالذكر أن الصناع المواصلة كانوا قد بلغوا شأنا كبيرا في عملية اصطناع النحاس العربي المرصع بالنقوش والرسوم البشرية والحيوانية[٢] ويتضح مما سبق مدى التطور الكبير الذي حصل في الصناعات النحاسية زمن الحروب الصليبية حتى كان بإمكان الصانع المسلم صناعة أي قطعة بحسب رغبات وأهواء الزبائن الصليبين وهذا ما يدل على مدى تمكن هؤلاء الصناع الشاميين عامة والصناع المواصلة خاصة، علما ان عملية صناعة هذه القطع النحاسية لم تكن من الأمور اليسيرة بسبب احتوائها على رسوم وزخارف بشرية ونباتية وحيوانية.

وكان يثبت على هذه القطع اسم الصانع وإمضاؤه ومكان الصنع وتاريخه وأسماء السلاطين والأمراء الذين صنعت في عصرهم في حقبة الحروب الصليبية وربما ان مسألة تثبيت اسم السلاطين والأمراء، لم تكن بعيدة عن التوجهات السياسية وذلك من خلال إيصال رسالة الى الغرب الأوربي تدل على مدى التطور الاقتصادي الذي كان حاصلا في زمن هؤلاء الأمراء والسلاطين ويكفينا القول ان هذه القطع الفنية الرائعة لولا أنها كانت متطورة وفي غاية الدقة لما شغف بها الصليبيون وحملوها الى أوربا وتأثروا بها وقيامهم بمحاكاتها وتقليدها في بلدانهم.

٣ـ الرصاص:

يعد الرصاص من المعادن الثقيلة التي عرفت في البلاد العربية منذ القدم [٣] ويصف ابن منظور[٤] هذا المعدن بالقول "الرصاص، معروف من المعدنيات مشتق من ذلك لتداخل اجزائه". وتم في الغالب الحصول على الرصاص من كبريتيد الرصاص الذي يكون ممزوجا في بعض الاحيان بكميات من الفضة، وقد انتشر هذا المعدن بنوعيه الاسود والذي يسمى ب(الاسرب) [٥] والابيض الذي يسمى ب(القلعي) [٦] في العديد من مناطق بلاد الشام ومنها القلعة [٧] والتي تعد من

(١) ص. ي، المرجع السابق ٢٠٥؛ علام، نعمت اسماعيل؛ فنون الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ط٢، دار المعارف بمصر (القاهرة: ١٩٧٧) ١٩٤

(٢) الجمعة ومحمود، المرجع السابق، ١٧٤

(٣) قاموس الكتاب المقدس، ٤٠٥؛ الصمد، المرجع السابق ١٨٢

(٤) لسان العرب، ٦/ ١٦١

(٥) شيخ الربوة، المصدر السابق، ٧١–٧١؛ القزويني، المصدر السابق؛ دونالد، هيل: العلوم والهندسة في الحفارة العربية الاسلامية، ترجمة، احمد فؤاد باشا، سلسلة عام عام الموفة (الكويت: ٢٠٠٤) ٢٧٠

(٦) ابن منظور، المصدر السابق ١٢/ ١٧٩

(٧) القلعة: تعد تعد القلعة من المناطق التي يوجد فيها الرصاص في بلاد الشام وقيل ان القلعة اسم معدن ينسب اليه الرصاص الجيد وهو جبل في بلاد الشام، المقدسي، المصدر السابق ١٨١، ياقوت الحمدوي ٢١٢/١٢

اهم الاماكن التي ينتشر فيها هذا المعدن، فضلا عن ذلك فقد وجد الرصاص في انطاكيا [١] ومعرة النعمان وفي جهات حلب وطرابلس والشام وعكاز وصافيتا [٢] وقد ذكرت الروايات التاريخية ان افضل انواع الرصاص هو الذي يؤخذ من المعدن مباشرة[٣].

وعلى الرغم من انتشار هذا المعدن في المناطق المذكورة اعلاه الا ان ابن عساكر[٤] يصف هذا المعدن بأنه كان محدود الانتشار في بلاد الشام، وربما انطلق في قوله هذا من مقارنته له بغيره من المعادن التي وجدت في بلاد الشام . اما عن دخول هذا المعدن في العديد من الصناعات زمن الحروب الصليبية فمن المؤكد ان هذا المعدن كان حاضراً في العديد من الصناعات، فقد شاع استخدامه في بناء قباب المساجد واعمدتها[٥] ، فضلا عن ذلك فإن هذه القباب كانت في بعض الاحيان تغلف بصفائح تصنع ايضا من الرصاص[٦]، يبدو ان هذا المعدن كان يستعمل في مجالات محدودة ولاسيما قباب المساجد وربما جاء هذا الاستخدام المحدود للرصاص بالاتفاق مع وما ذهب اليه ابن عساكر لقلة أنشار هذا المعدن.

ثالثا: المعادن الثمينة:

انتشرت المعادن الثمينة في بلاد الشام خلال حقبة الحروب الصليبية وتوزعت في ارجاء البلاد ولعل ابرز هذه المعادن هي:

١ـ الذهب:

وصف بأنه اشرف المعادن وخيرها وادومها نفعا وأحفظها قيمة [٧] وقد حمل الذهب أيضاً اسم التبر والقطعة منه ذهبه ووصف بأنه من أثمن المعادن ويمتاز بقابليته على الطرق أكثر من

---

(١) انطاكيا: وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي مدينة وصفت بطيب هوائها وعذوبة مائها وتسمى بنت الروم، المقدسي، المصدر السابق ١٨١؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٢/ ٢١٣؛ عبيد، المرجع السابق ٧٥

(٢) الدمشقي ، ابو الفضل جعفر بن علي: الاشارة الى محاسن التجارة، تحقيق بشير الشوربجي، مكتبة الكليات الزهرية (القاهرة: ١٩٧٧) ٤٨

(٣) الدمشقي، المصدر السابق، ٤٨؛ عبيد المرجع نفسه ٧٧-٧٨

(٤) أبن الحسين، علي: تهذيب تاريخ دمشق، تهذيب وترتيب عبد القادر علي بدران، دار المسيرة (بيروت: ١٩٧٩) ٢٠٢/١

(٥) ابن جبير، المصدر السابق، ٢٠٥؛ ابن بطوطة، المصدر السابق ١٠٣

(٦) ابن جبير، المصدر السابق ٢٠٥

(٧) شيخ الربوة، المصدر السابق، ٦٧-٦٨

غيره [١] ، وقد انتشر بكميات لا بأس بها في بلاد الشام ولاسيما في جبل اللكام [٢] الذي عرف بانتشار خامات الذهب فيه [٣].

وهنا يثار التساؤل الاتي: إذا كان معدن الذهب قليل الانتشار في بلاد الشام فما هو تفسير وفرة الذهب في حقبة الحروب الصليبية وانتشار الكثير من الصناعات القائمة على هذا المعدن؟ ان الجواب عن هذا السؤال يتضح من خلال العديد من النصوص التاريخية والروايات التي تناولت هذا الموضوع والتي ذهبت معظمها الى القول ان المصدر الرئيس للذهب هو ماكان يأتي من الذهب المحفوظ في الكنائس والقبور والاديرة والقصور[٤] ، فضلا عن ذلك فأن المسلمين في بلاد الشام ومسيحيي الشرق كانوا يملكون أموالاً طائلة معظمها من الذهب كما أن المسلمين استطاعوا السيطرة على الكثير من الطرق التي كان الذهب ينقل من خلالها، زد على ذلك فأن الكثير من الصناع كانوا يجلبون الذهب من مصر الى بلاد الشام لأستخدامه في مختلف الصناعات [٥] .

وقد برع الصناع الشاميون زمن الحروب الصليبية بعمليات ترصيع الحلي بالذهب ولاسيما دق الأحجار الكريمة وإنزال اللالئ فيها [٦]، وقد أزدهرت مهنة الصياغة زمن الحروب الصليبية بشكل لم يسبق له مثيل[٧] فقد دخل الذهب حينئذ في مجال ترصيع الأسلحة وطليها وتحليتها ولاسيما السروج والسيوف والجواشن للفرسان الأثرياء كما ان السروج كانت تزين بالشارات المعدنية والأحجار الكريمة [٨]

ودخل الذهب في صناعة الحلي وأدوات الزينة الخاصة بالنساء ويبدو أن صياغة هذه الحلي كانت قد تأثرت بشكل كبير في الحروب الصليبية وذلك من خلال اطلاق أسماء العديد من الآلات والأدوات الحربية على بعض القطع من هذه الحلي،فعلى سبيل المثال لا الحصر كان يصنع نوع من الأقراط يسمى (ترس) لأنه كان يشبه الترس الذي كان يستخدم في القتال أثناء الحروب الصليبية، كما صنعت قطع ذهبية أخرى كانت تسمى (حلق خنجر) وهي على هيئة قبضة خنجر،

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق، ٤٨/٦.

(٢) شيخ الربوة، المصدر السابق، ١٤١، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٧٣/١

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٧٣/١

(٤) زيود، المرجع السابق، ٢١٦

(٥) المرجع نفسه ٢١٦

(٦) علي السيد، المرجع السابق، ١١٨

(٧) قاسم، عبدة قاسم: المرجع السابق، ٢١٦

(٨) ابن منقذ، المصدر السابق، ٤٧.

فضلا عن(حلق مشرف) على شكل سيف وغيرها من القطع الرائعة[١]، كما ان المساجد والكنائس قد حظيت بالشيء الكثير من هذه الصنعة المهمة اذ زينت القناديل الذهبية العديد من المساجد ولا سيما مسجد قبة الصخرة، فضلا عن ذلك فإن الكثير من المصاحف الشريفة كانت تزين بالذهب[٢] ، كما ان الكنائس كانت تضم في أروقتها تحفاً ذهبية كانت في غاية الروعة اذ كانت تتم عمليات ترصيع وتطعيم الكتب الدينية والصلبان والتماثيل بالذهب[٣]، وقد أحتوت ذخائر كنيسة أنطاكية جدولا يحتوي على أسماء ما صاغه الصاغة السوريون في زمن الحروب الصليبية، فضلا عن نماذج من هذه القطع والتي صاغتها أنامل الصاغة الشامين ولعل أبرزها صليب كبير من الذهب المرصع بالجواهر والاحجار الكريمة وإنجيلان رصعا بالذهب[٤].

كما شاعت في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية صناعة الادوات والاواني الذهبية الخاصة بالطعام وتقديم الهدايا ولاسيما الثمينة منها، الا ان الفقهاء المسلمين كانوا يحرمون استعمالها [٥] ويبدو ان الكثير من هذه الأدوات والأواني تستخدم أيضا للزينة او كذخائر نفيسة، فقد عثر في خزائن الأمراء والسلاطين الأيوبيين على نماذج من هذه القطع الرائعة، ومنها خزائن (رضوان بن تتش ملك حلب (٤٨٧هـ/٥٠٧م)، وقد انتشرت أسواق الصاغة في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية إلا انه لم يكن يسمح لأي شخص ان يحترف هذه المهنة إلا بعد أن يحصل على إجازة من الملك [٦]، وقد عرفت دمشق سوقا للصاغة وصف بأنه وجد فيه (الذهب المسبوك والمجرور والممدود والمرصوع))[٧] كما عرفت كل من حلب[٨] وبيت المقدس أسواقاً خاصة بالصاغة [٩] وقد كان الأمراء الفرنج والعوام من الغرب الأوربي يقصدون الجواهريين من ابناء

---

(١) محمد، المرجع السابق، ١٢٨

(٢) خسرو، المصدر السابق، ٢٩، زبور، المرجع السابق ٢١٧

(٣) علي السيد، المرجع السلبق، ١٣٨، الطحاوي، المرجع السلبق، ٢١٦

(٤) ص، ي، المرجع السابق، ٢٠٥؛

(٥) ابن منقذ، المصدر السابق و ٤١-٤٢؛ محمد، المرجع السابق،٢٢٥

(٦) ابن العديم، المصدر السابق ٦ /٢٦٠، ص.ي، المرجع السابق ٢٠٥

(٧) البدري، المصدر الاسبق، ٢١٤

(٨) ابن العديم، المصدر السابق و ١/ ٩٢

(٩) الحنبلي، ابن مجير الدين العلمي: الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان عبد المجيد، مكتبة الاندلس (عمان: ١٩٩٠) ٢/ ٥٠؛ الياس، المرجع السابق ١٣٢؛ مصعب نجم، حمادي:الاستيطان الصليبي في بلاد الشام مملكة القدس أنموذجاً (٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩ -١١٨٧ م) اطروحة دكتوراة غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب، جامعة الموصل (الموصل: ٢٠٠٥)، ٣١٤.

بلاد الشام لصوغ حلاهم وشراء الأدوات والأواني المزينة بالنقوش الصليبية[١] ، كما حرص العديد من أبناء الغرب الأوربي على إتقان هذه الصناعة[٢] ، ويعلل احد الباحثين ذلك ان هـذا الازدهـار الحاصل في صناعة الحلي الذهبية متأتٍ من الهدوء النسبي الذي كان سائدا في عصر خلفاء صلاح الدين الأيوبي [٣] .

يتضح مما سبق ان حالة بلاد الشام في مجال صناعة الحلي والأدوات الذهبية حالة فريـدة فبلد لا يمتلك وفرة كبيرة في معدن الذهب إلا أن الصناعات الذهبية كانت فيه واسعة الانتشار وفي مختلف المجالات سواء صناعة الحلي والأدوات أم الأواني المنزلية وحلي الزينة الخاصة بالنسـاء فضلا عن دور العبادة من مساجد وكنائس وهذا ان دل على شيء انما يدل علـى حـذق ومهـارة الصناع الشامين خلال الحروب الصليبية وتشهد بذلك التحف الفنية المخزونـة فـي الكثيـر مـن المتاحف والكنائس الى يومنا هذا.

٢ـ الفضة:

من المعادن المهمة التي انتشرت في بلاد الشام زمن الحـروب الصـليبية وقـد عرفـت بتسميات مختلفة منها الصريف[٤] والطلسم [٥]، أما عن ابرز الأماكن التي انتشر فيها هذا المعدن في بلاد الشام فلا شك كانت المناطق الجبلية ولاسيما التي تمتد شمال البلاد (سوريا الحالية) اهم هـذه المناطق اذ احتوت هذه الجبال على منجم مشهور للفضة [٦] فضلا عن ذلـك فقـد عرفـت جبـال اللاذقية نوعاً من الفضة الممزوجة بالرصاص[٧].

---

(١) ص.ي، المرجع السابق، ٢٠٥،حلات المرجع السابق ٢١١ –٢١٢

Rey: coloniec Franques En Syrie aux. xllet xlll Siecles (Paris: ١٨٨٣) P. ٢١٥.

(٢) علي السيد، ١٧٨

(٣) قاسم، المرجع السابق ٢١٦

(٤) يقال للفضة أيضاً اللجين، أبن منظور، المصدر السابق، ١٩١/١١.

(٥) الطلسم: وهي لفظة تطلق على الفضة الخالصة من شوائب الرصاص والزئبق والنحاس، شيخ الربوه، المصـدر السابق، ٧٠.

(٦) لومبار، المرجع السابق، ١٦٦.

(٧) زيود، المرجع السابق، ٢٢٠.

وعن دخول هذا المعدن المهم في المجالات الصناعية في الحروب الصليبية فمن المؤكد ان معدن الفضة كان يدخل إلى جانب الذهب في الكثير من الصناعات ولاسيما صناعة حلي النساء وأدوات الزينة التي غالبا ما كانت ترصع وتطعم بالفضة [١]

فضلا عن ذلك فقد شاع استخدام القناديل المصنوعة من الفضة في دور العبادة من مساجد وكنائس [٢] ودخلت الفضة إلى جانب الذهب في ترصيع الأسلحة ولاسيما السيوف والسروج والجواشن[٣] كما شاع في زمن الحروب الصليبية استخدام المرايا المعدنية والتي كانت تصنع من المعدن المصقول ولاسيما من الفضة وقد كانت صيدا من اهم مناطق صناعة هذا النوع من المرايا، وعن تفاصيل هذه المرايا فهي كانت عبارة عن قرص مدور يتفاوت قطرها مابين ٨ إلى ١٢ سم وللقرص وجهان وجه مصقول يعكس صور الاشياء والمؤدي للوظيفة التي صنعت من أجلها المرايا، ووجه عليه زخارف فنية ذات أشكال نباتية وحيوانية وأدمية وهندسية اخرى تزينها كتابات كوفية ونسخية [٤] زد على ذلك ان الأواني كانت تصنع من الفضة وبدقة متناهية فقد اورد ابن منقذ [٥] زاوية يذكر فيها ان الهدايا الثمينة والتي تصل إلى الأف الدنانير كانت تقدم مصنوعة من الفضة.

ويبدو أن معدني الفضة والذهب كانا متلازمين بالدخول في الكثير من الصناعات المحلية مثلما كانا نادرين في وفرتهما في بلاد الشام اذ ما قورنا ببقية المعادن.

رابعاً: صناعة سك النقود:

وبعد ان انتهينا من ذكر أهم أنواع المعادن التي كانت موجودة في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية واهم استخداماتها الحضارية سواء كان ذلك في المجالات المدنية أم العسكرية، فلا يمكن ان نتغافل عن ذكر واحدة من أهم الصناعات وأدقها ألا وهي صناعة سك النقود وقد ارتأينا ان نؤخر ذكر هذه الصناعة المهمة الى نهاية البحث بسبب دخول اكثر من معدن في هذه الصناعة المهمة ولاسيما الذهب والفضة والنحاس وقد بلغت هذه الصناعة المهمة شأنا متقدما وكان لها تأثير كبير على سير العمليات التجارية المهمة.

---

(١) زيود، المرجع السابق، ٢٢٠.

(٢) علي السيد، المرجع السابق، ١٣٨.

(٣) محمد، المرجع السابق، ٢١٨.

(٤) المقريزي، المصدر السابق، ٣٦٧/١؛ جمال محرز: المرايا المعدنية الاسلامية، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة (القاهرة: ١٩٥٣)، ١/ ١٣٠.

(٥) المصدر السابق، ٤٧.

وقد كان للنقود دور مهم في الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في زمن الحروب الصليبية، فقد عرفت هذه البلاد العديد من انواع النقود (الدنانير والدراهم) التي كانت قد سكت من انواع مختلفة من المعادن ولاسيما الذهب والفضة والنحاس وقد كان الدينار الذهبي الاسلامي والذي سك سابقاً من قبل الفاطميين يمتاز بأن له قوة تجارية وسياسية كبيرة في اسواق بلاد الشام[١]، وقد ثبتت على الدينار الذهبي الاسلامي الايات القرانية الكريمة وبعض النقوش الاسلامية وكان يسك في مختلف المدن الشامية ولاسيما عكا وطرابلس وانطاكيا[٢]، وبمقابل الدينار الذهبي الاسلامي تداولت الاسواق عملة نقدية اخرى حملت اسم الدينار الصوري الذي كان اقل قيمة من الدينار الذهبي الاسلامي [٣]، وفقد حاول الفرنجة الحد من القيمة الاقتصادية للدينار الاسلامي على اثر الزيارة التي قام بها البابا انوست الرابع والذي حرم استخدام الدينار الاسلامي الا ان جهوده باءت بالفشل ثم توصلوا الى الاتفاق لفكرة الابقاء على الدينار على ان تتغير الايات القرانية بعبارات مسيحية تكتب بالعربية حتى يتقبل المسلمون التعامل بهذا الدينار[٤]، والحقيقة التي لابد من ذكرها ان الصليبيين كانوا يحاولون ضرب الدينار الإسلامي والعمل على زعزعة ثقة الناس به، وفعلا تأثر الدينار الذهبي الإسلامي بهذه المؤامرات وقد حدثت ندرة في الذهب في العالم الإسلامي مما اضطر الناصر صلاح الدين الأيوبي بإصدار قرار بجعل الفضة قاعدة للتعامل بدل الذهب، كما ان النفقات العالية للجيوش العربية الاسلامية في مواجهة القوات الصليبية الغازية اضطرته أيضاً الى ضرب

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٥٧٣/١؛ أبن جبير، المصدر السابق، ٢٢٣، حلاق، المرجع السابق، ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٢) علي السيد، المرجع السابق، ١٢٣ – ١٢٥، حلاق، المرجع السابق، ٢٢٢ – ٢٢٣؛ الكنائي، مصطفى حسن محمد: العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى (١١٧١ – ١٢٩١م) الهيئة المصرية العامة للكتاب (الأسكندرية: ١٩٨١) ٣١١ – ٣١٥.

(٣) الكناني، المرجع السابق، ٣١١.

(٤) أن مسألة أصدار الصليبين للدينار الصوري لا يعني ان أوربا لم تكن تمتلك عملات نقدية خاصة بها بل على العكس من ذلك تماماً فقد تعاملت أوربا بالعديد من انواع العملات ولا سيما النوميسيما البيزنطية والتي كانت تسمى بالبزانت وكانت تصنع من الذهب، وقد عرفت المدن الأيطالية التعامل بالنوميسيما البيزنطية والدينار الذهبي الأسلامي كما وسكت هذه المدن عملات خاصة بها عرفت بأسم Genovinel Januino وكانت من الذهب الخالص واصدرت فلورنسا أيضاً عملة نقدية خاصة بها عرفت بأسم الفلورين، حلاق، المرجع السابق، ٢٢٢؛ عادل زيتون: العلاقات الأقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ط١، (دمشق: ١٩٨٠) ٤٨ – ٥٠؛

c. m. Money, prices and cirilization in the Medite – Vanean world Cincinnt: ١٩٥٦: p. ١٦؛ Lopez. R. S. the Dollar of the middle ages, JESHO, Vol: ١, ١٩٥١, p. p Ciplla, ٢٠٩ – ٢١٠.

دراهم من خليط معدني من الفضة والنحاس [١]، وقد بقيت أيضاً هذه الدراهم الناصرية الى ان جاء الملك الكامل محمد بن محمد بن أيوب (٦١٥-٦٣٥هـ / ١٢١٨ – ١٢٣٧م) وقام بإبطالها وضرب دراهم أخر جعل نسبة الفضة ثلثين مقابل ثلث من النحاس [٢] وفي منتصف القرن الثالث عشر حدث نقص ايضا في الفضة مما اضطر اخر سلاطين الايوبيين في سوريا (الملك الناصر يوسف) لسك دراهم قليلة الفضة[٣]

خامساً: تجارة المعادن.

على الرغم من المعارك والحروب التي كانت دائرة بين الفرنجة والمسلمين الا ان العمليات التجارية كانت قائمة على قدم وساق بل ان القوافل التجارية بين الطرفين كانت لا تنقطع حتى في اثناء المعارك كما أشار ابن جبير[٤] بقوله "من اعجب ما يحدث في الدنيا ان قوافل المسلمين تخرج الى بلاد الفرج وسبيهم يدخل الى بلاد المسلمين شاهدنا ذلك عند خروجنا امرا عظيما ".

وقد كانت تجارة المعادن في بلاد المسلمين على نوعين داخلية وخارجية، فضلا عن ذلك فإنها في كثير من الاحيان تكون عكسية اي من اوربا الى بلاد الشام،فلو بدأنا بالتجارة الداخلية للمعادن فقد كانت بلاد الشام تصدر كميات لابأس بها من الحديد والنحاس الى الاقاليم الاسلامية المجاورة ولاسيما مصر [٥] وعلى الرغم من ان بلاد الشام كانت تمتلك كميات لييست بالكبيرة من الحديد فيبدو ان بلاد الشام كانت مضطرة الى ان ترسل إلى مصر هذه الكميات الى دور صناعة السفن لان مصر والشام ابان عصر الحروب الصليبية كانت وحدة سياسية واقتصادية وحربية من اجل ان يستمر الجهد الحربي في مواجهة الصليبين كانت ترسل معدن الحديد. اما عن التجارة الخارجية للمعادن ولا سيما مع الغرب الاوربي فنحن امام حقيقة تاريخية لابد من ذكرها ان بلاد الشام لم تكن تمتلك كميات كافية من الحديد لكي يصدر الى اوربا [٦] بل ان العكس كان يحدث تماما فكانت تجارة المعادن ولاسيما الحديد والرصاص والنحاس تجري من أوربا الى بلاد الشام [٧] ومن

---

(١) المقريزي: النقود الاسلامية، طبع في مطابع الجوائب (القسطنطينية: ١٢٩٨ه)، ١٤.

(٢) المقريزي: النقود، ١٤ – ١٥؛ الحسيني، محمد باقر: نقود أوربية تداولتها رسمياً أسواق عربية أبان عصر الحروب الصليبية، مجلة أفاق عربية، (بغداد: ١٩٧٥)، العدد٣، ١٠٢ – ١٠٣.

(٣) المقريزي، النقود، ١٤ – ١٥.

(٤) ابن جبير، المصدر السابق، ٢٢٣؛ حلاق، المرجع السابق، ٢١٨.

(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ٢١٥، حلاق، المرجع السابق، ٢١٨.

(٦) حلاق، المرجع السابق، ٢١٨.

(٧) ابن سعيد، ابو الحسن علي بن موسى المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي (بيروت: ١٩٧٠)؛ زيتون، المرجع السابق، ٢٣٢.

اجل ذلك فقد حرص الأمراء والسلاطين الأيوبيون والمماليك على عقد اتفاقيات تجارية لتسهيل دخول المعادن من أوربا ولا سيما مع المدن الايطالية [١] فقد تعاقد صلاح الدين الايوبي على توريد الحديد والرصاص والنحاس مع جنوا والبندقية وبيزا [٢]. وقد كانت هذه المعادن تخزن في المتجر السلطاني الذي أنشأ لهذا الغرض[٣] وتدفع قسم من ثمن هذه المعادن من الأموال المفروضة على التجار غير المسلمين من أموال الخمس المفروضة عليهم[٤]. الا ان تجارة المعادن هذه كثيرا ما كانت تتعرض لقرارات المنع والتحريم من قبل بعض بابوات الغرب الأوربي للحيلولة دون استخدام هذه المعادن ولاسيما الحديد في الصناعات الحربية المهمة [٥] ومعلوم ان التجارة التي كانت بين أوربا وبلاد الشام خلال الحروب الصليبية كانت تقوم على تبادل المنفعة فلم تكن اوربا قادرة على الاستغناء عن استيراد منتجات الشرق ولاسيما التوابل الهندية وبقية المواد الاخرى، ولهذا فقد كانت هذه القرارات تذهب ادراج الريح امام أطماع التجار الأوربيين ولاسيما البنادقة والجنويين [٦] وقد كانت هذه المراكب تنطلق إلى بلاد الشام وهي محملة بمختلف أنواع المعادن ولاسيما الحديد [٧] فضلا عن ذلك فأن الصادرات الأوربية ولاسيما الجنوبية كانت تضم فضلاً عن المعادن الخام لوازم ومعدات ضرورية للمحافظة على الجهود الحربية من فولاذ وتروس ودروع حديدية وخوذ فرنجية وسيوف الفرنجية على الرغم من اشتهار دمشق بالسيوف الدمشقية[٨] وعلى ما يبدو ان المسلمين كانوا يقومون ببيع السلاح للصليبين المقيمين في بلاد الشام وهذا ما يذكره لنا المقريزي[٩] والذي

---

(١) الكيلاني، المرجع السابق، ٣٧٥.

(٢) ابن مماتي، المصدر السابق، ٣٢٧؛ أيليسف، نيكيتا: الشرق الأسلامي في العصر الوسيط، ترجمة منصور ابو الحسن (بيروت: ١٩٨٦) ٤٥٧.

(٣) ابن مماتي، المصدر السابق، ٣٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ٣٢٥ – ٣٢٧.

(٥) أشتور، المرجع السابق، ٣٨٧.

(٦) المرجع نفسه، ٣٨٧.

(٧) أبن عبد الظاهر تشريف الامام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل (القاهرة: ١٩٦١)، ٢١٠ – ٢١١؛ الكيلاني، المرجع السابق، ٣٨٥.

(٨) هيك، المرجع السابق، ٢٦٥؛

Prawer, j, The settlement of the Latins, speculm ٧٧(١٩٥٢) pp. ٤٩٠ – ٥٠٣.

(٩) المقريزي: الخطط، ق١ ، ٣/ ٧٤.

ذكر بيع كميات من الأسلحة والذخائر السلطانية من قبل علم الدين سنجر الى الصليبيين. وقد علل علم الدين سنجر فعلته هذه لكساد هذا السلاح وعدم الانتقاع منه وانه قبض ضعف الثمن[1].

في الختام يتضح بشكل جلي ان تجارة المعادن الخام من اوربا الى بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية كانت تجارة رائجة جدا وهذا متأتٍ من الوفرة الكبيرة التي كانت تمتلكها اوربا من المعادن، وفي الوقت نفسه فأن بلاد الشام كانت بحاجة ماسة لهذه المعادن لضمان استمرار الصناعة الحربية في هذه البلاد أما عن التجارة الخاصة بالمعادن من بلاد الشام الى اوربا فيبدو ان تجارة المواد المصنعة من المعادن كانت كبيرة جدا اي ان هذه المواد الخام القادمة من اوربا كانت تصنع وترسل ثانية على اشكال واحجام واذواق مختلفة ولاتزال المتاحف الاوربية تحتفظ بالعشرات من القطع الفنية الرائعة التي صنعت ابان الحروب الصليبية.

(1) الحموي، محمد ياسين: تاريخ الاسطول العربي، مطبعة الترقي (دمشق: ١٩٤٥)، ٢٧.

الخاتمة:

يتضح من خلال هذه الدراسة المتواضعة ان بلاد الشام أبـــان حقبـــة الحـــروب الصـــليبية (٤٩٠-٦٩٠هـــ/١٠٩٧-١٢٩٠م) كانت تمتلك ثروات معدنية وبكميات لايستهان بها وقد توزعـــت هذه الثروات على العديد من مناطق البلاد، وكانت هذه المعادن على قسمين فالقســـم الأول اطلقنـــا عليه المعادن التقليدية والتي شملت الحديد والنحاس والرصاص في حين ان المعادن الثمينة كانـــت تشمل الذهب والفضة وقد علمنا ان هذه البلاد كانت تمتلك فائضاً في معدن معين لكنها كانت تفتقـــر الى معدن أخر او انها كانت تعاني من ندرة نسبية في هذا المعدن أو ذاك، فمثلا يعد الحديد قليلا اذا ما قورن بالنحاس ولهذا فان النحاس كان يصدر الى بقية الأقاليم الاسلامية وقد دخلت بقية المعادن التقليدية في الكثير من الصناعات المدنية والحربية الخفيفة والثقيلة ففي مجال الصـــناعات المدنيـــة دخل الحديد في معظم مفاصل الحياة من مساكن ودور للعبادة وأواني وأدوات منزلية فضـــلا عـــن ذلك فأن الحديد كان عنصرا فعالا في الصناعات الحربية فذاع صيت الســـيف الدمشـــقي والفـــولاذ الدمشقي وراجت الصناعات القائمة على الاستفادة من معدني الذهب والفضـــة حتـــى غـــدا هـــذان المعدنان متلازمين في الكثير من الصناعات كما صاغ الصناع المهرة أروع وأدق التحف النحاسية والتي لازالت تحتفظ بها العديد من متاحف العالم وكما وعلمنا ان صناعة النقود بلغت شأنا كبيـــرا في عصر الحروب الصليبية لان هذه الصناعة المهمة ترتبط ارتباطا كبيراً بحياة الناس ونشـــاطهم الاقتصادي وقد اعتمدت هذه الصناعة المهمة على معادن الذهب والفضة والنحاس ومن اجل الحفاظ على اقتصاد البلاد ومواجهة المؤامرات الصليبية والشيء الذي لابد من ذكـــره أن هنـــاك عوامـــل عديدة ساعدت على ازدهار الصناعات أبان هذه الحقبة المهمة لعل أبرزها وفرة المعـــادن وجهـــود الأمراء والسلاطين الأيوبيين في تشجيع الصناع على الهجرة الى بلاد الشام ولا سيما من الموصل، كما شهدت تجارة المعادن الخام تجارة عكسية من أوربا إلى بلاد الشام فـــي حـــين أن الصـــناعات المعدنية وبكافة أنواعها تصدر الى الغرب الأوربي و هذا يدل علـــى حـــذق الصـــناع المســـلمين ومهارتهم.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.